

استرجاع القدس لا يسقط بالتقادم

دموح عراق

ان طبيعة الصراع بين اليهود والمسلمين صراع وقتي يتطلب اجتياز واقع القصور العربي الاسلامي في تحقيق وحدتهم السياسية والاقتصادية. فمن جهة الصيانة ينظرون الى العرب والمسلمين بوصفهم اعداء، بينما نجد بعض العرب والمسلمين يتهادنون معهم ولا يضعونهم في خانة الاعداء. وهذا سبب من اسباب الضياع وتأخير استرجاع القدس الى اصحابه الشرعيين من ناحية، واعطاء الاسرائيليين على مرور الزمن حق التشبث بالارض من ناحية اخرى. ومهما طال الصراع بين العرب واليهود، فان عامل الزمن مازال يمنح العرب والمسلمين طاقة حقيقية لاتلغي واقعهم بوصفهم اعداء للصهاينة، حيث ان الصراع بين الحق والباطل لا ينتهي. ولكن من اجل وحدة الارض التي استخلفها الانسان، والقيم التي ينتجها فلا بد له من التحوار والتفاهم مع الاخرين، لاسيما وان الخطوط العامة التي تجمع الناس ليعيشوا مطمئنين هي التي تجعلهم يشعرون بقرب بعضهم بعضاً. ولو اخذنا على سبيل المثال واقع الاختلاف بين الغرب والشرق لوجدناه اختلافاً لاهوتياً لا يفهمه الكثير من عامة الناس، سواء كانوا مسلمين او يهودا او نصارى { ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى والصابيين من امن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون } (١)

وإذا اخذنا بعين الاعتبار ان الاختلاف في الجوانب اللاهوتية يظهر بين اصحاب الدين والمذهب الواحد، فان الواقع يفرض على الناس ان يقيموا علاقات تاخذ بمبدأ التقارب والالتقاء في التعايش امثالاً لقوله تعالى (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا ارباباً من دون الله) (٢). هذا التوجه في العلاقات قد ينطبق على النصارى والمسلمين وغيرهم، بيد ان التعايش مع اليهود يأخذ صورة أخرى تترتب عليها مسؤولية تاريخية، تعكس لنا الحالة العدائية التي يتصف بها اليهود عبر تعايشهم مع الجماعات البشرية لاسيما مع المسلمين. فعلى المستوى القريب نجد اناسا حاولوا بعدائيتهم ان يمزقوا وحدة الارض ووحدة الله باحتلالهم واغتصابهم للقدس، ولذلك فان التعايش معهم بسلام لا يمكن ان يتم الا من خلال استرداد الحق بالقوة أولاً، وبالاحسن حين يتم الانتصار ثانياً. (ولاتستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) (٣). ونجد ان المستوى التاريخي نفسه أن عدائية الغرب للاسلام والمسلمين دفعته الى أن يزرع اسرائيل في قلب الامة العربية، مما اثار العديد من التوترات النفسية على الصعيد الاقتصادي والسياسي والثقافي. وهكذا افرزت الظروف التاريخية بطابعها المتوتر نوعاً من الارتباك والتعقيد، أصبح العرب والمسلمون بموجبه ينظرون الى الغرب كونه عدواً على المدى البعيد، وبالمقابل فإن كل ثورة او تغيير سياسي واقتصادي في العالم العربي والاسلامي يعني بالضرورة تقويضاً لمصالح الغرب وتهديداً لانجازاته الحضارية، لاسيما وان المصالحة الاقتصادية قائمة اساساً على الموارد المتاحة عند الطرف الاخر. هذا بخصوص الجانب الشعوري للواقع المعاش لكن يبقى هناك جانب اخر يحمل حالة انفراج يمكن

ان تجمع بين المسلمين والمسيحيين وذلك وفق التمييز بين الادارات الغربية وشعوبها.

فبالتحاور والنقاش قد يتأجج شعور عامة الناس في اوربا نحو ظلم سياساتهم ورجال اداراتهم وما يسببوه من معاناة وقهر للشعوب الاسلامية وغير الاسلامية. اذن فالتحرك على مستوى العلاقة المباشرة بين الشعوب يمكن ان يشكل عامل ضغط على الادارات السياسية ويعجل ببعض الحلول الانية.

ومن اجل تحقيق هذا الهدف لابد من استثمار واقع التعليم العالي واللجوء السياسي الذي حصل عليه العديد من العرب والمسلمين في اوربا فقد يتم بواسطتهم مد الجسور وتوثيق الروابط وخلق نوع من الموازنة على المدى البعيد.

ولنا اسوة حسنة في تلك الصفوة التي هاجرت بدينها الى الحبشة، فهي وان نجت بجلدها من ظلم وجبروت مجتمعتها الاصلي، استطاعت ان تحدث نقلة نوعية كبيرة في المجتمع الاخر (الحبشة) بعد ان اعتنق النجاشي الاسلام وحدث ثورة بين صفوف مجتمعه. وعليه فان وجود المهاجرين من العرب والمسلمين في اوربا يمكن ان يؤسس حالة من الفهم الموضوعي للمسلمين والغربيين داخل المجتمعات الاوربية، حيث ان ما يحصلون عليه من حرية كافية لممارسة معتقداتهم الدينية والدعوة اليها بالتزواج والمخالطة تجعلهم اكثر اهلية في اقامة مختلف الندوات الفكرية والعلمية التي من شأنها ان تدعم الفكر الاسلامي وتضع حد للفواصل بينه وبين الممارسات الخاطئة لبعض المسلمين.

ولغرض مواجهة الاحتلال الاسرائيلي لابد من حل بعض التعقيدات النفسية بين المسيحيين والمسلمين، اذ مهما اختلفوا فانهم اقرب الى اللقاء والتفاهم {ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون} (٤).

اي علينا تجزئة الصراع بين الشعوب وجعل النزاع الفكري والفلسفي اللاهوتي من اختصاص العلماء والمثقفين، وهذه الغاية سهلة التحقيق اذا كان الايمان الذي يمتلكه الطرفان ايمانا راسخا بعيدا عن الشعارات الزائفة التي تبعد النفوس عن واقعها الوجداني والروحي.

ويمكننا على الصعيد نفسه كسر التحالف الاستراتيجي بين الغرب واسرائيل من داخل الساحة الاوربية نفسها.

اذ ان تعقد المصالح الاقتصادية والسياسية بين اوربا الغربية وامريكا قد تفرز الى الوجود حالات تدمر واستياء بين صفوف الشعب الاوربي، واذا ما استغل ذلك التدمر من قبل العرب والمسلمين في الوقت المتاسب، كأن تدعم المصالح الاوربية اعلاميا واقتصاديا وسياسيا، فاننا سنجد الاوربيين اقرب الى الانسان المسلم واكثر تفهما لحماية مصالحه في مواجهة لامريكا واسرائيل وبهذه الصورة يمكن اختراق الجدار النفسي الذي اسس على الكراهية والحساسية خاصة اذا اخذنا بعين الاعتبار ان التسلط والقوة لا تبقى دائما وان المستضعف والتابع لا يبقى تابعا، وهكذا يتم استرجاع الارض وقدسنا المسلوب بالصبر والمثابرة وبتعدد الوسائل وصدق الله القائل { وتلك

الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين امنوا ويتخذ منكم شهداء والله لايحب
الظالمين}{(٥).